مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيـجي
Orouba Center for Research and Strategic Thinking

العملية العسكرية في جنين

الأهداف، المعطيات الميدانية، النتائج

قراءة تحليلية

مع فجر يوم الثالث من تموز/يوليو 2023، الساعة الواحدة والربع صباحًا، هاجم جيش الاحتلال "الإسرائيلي"، بمساندة من جهاز الأمن الداخلي "الشاباك" وقوات من "حرس الحدود" لدى الاحتلال، مخيمَ اللاجئين في جنين بقصف جوي استَهدَف عدة نقاط، بادعاء أنها تُستُخدَم بوصفها مقرات عمليات ونقطة مراقبة، ومكانًا لتجمع المسلحين، ونقاط تخزين للأسلحة والمتفجرات، ومركز اتصال للمقاومين، وقد أعلن جيش الاحتلال أنه ينفِّذ عملية عسكرية واسعة النطاق في مدينة جنين ومخيمها شمالي الضفة الغربية المحتلة، مطلقًا تسمية "بيت وحديقة" على العملية.

نُفِّذَت العملية بقوام لواء عسكري واحد، ومشاركة مئات الجنود من الوحدات الخاصة والنظامية ووحدة الهندسة القتالية، وإسنادها بالطائرات التي تشارك للمرة الثانية، بعد عملية القصف التي نفَّذها الطيران المروحي في 20 حزيران/يونيو 2023 في أثناء محاولة إخلاء آلية متفجرة في حي الجابريات على أطراف مخيم جنين، وهي المرة الأولى منذ عقدَين ماضيَين، والمسيَّرات الحربية والانتحارية.

في خلال العملية العسكرية في جنين، شنَّت طائرات الاحتلال هجماتٍ، ادَّعى الاحتلال أنها تَستَهدِف البنية التحتية للمقاومة، أكثر من عشرة مرات، إضافة إلى استهداف مباشر للمسلحين وخلايا المقاومة في المخيم، إضافة إلى استخدام طائرات من نوع "أوربيتر" و"ماعوز" الانتحارية في مهاجمة المقاومين ومواقعهم، وقد أدخَل الاحتلال "ماعوز" للخدمة للمرَّة الأولى واستَهدَف بها ستة أهداف في جنين في عمليته ضد المخيم.

»خلفية قرار العملية العسكرية

على إثر التطورات الأخيرة والقفزات النوعية التي حقَّقتها المقاومة، تباينت تقديرات الاحتلال الأمنية بشأن الوضع الأمني العام في الضفة، إذ قدَّر "الشاباك" ضرورة شن عملية عسكرية موسَّعة تَستَهدف شمالي الضفة الغربية بهدف "تحييد" تنظيمات المقاومة، إلا أنه خيار لم يكن محبذًا لجيش الاحتلال، الذي تمسَّك لفترة طويلة بالطريقة المعتادة في المعالجة ضمن سياسات "جز العشب" وحملات "كاسر الأمواج"، غير أن الضغوط قد ساهمت في الوصول إلى تقدير بضرورة إطلاق عملية عسكرية محدودة المجال والمدى في البقعة الأبرز للمقاومة في شمالي الضفة، بهدف الردع فقط ضد المقاومة، خشية اتساع نطاق المجموعات المسلحة إلى وسط الضفة وجنوبيها.

في 23 حزيران/يونيو، أجرى رئيس حكومة الاحتلال "بنيامين نتانياهو" نقاشًا موسعًا في مقر جهاز "الشاباك"، شمل قادة الجيش الاحتلال، وبالتحديد التشكيلات الخاصة بالضفة الغربية، وقادة الجهاز، للتباحث حول التقدير النهائي للوضع الأمني العام في الضفة. خَلُصَ النقاش إلى تبنِّي تقدير الجيش "الإسرائيلي"، المتمثل بشنِّ عملية عسكرية محدودة في جنين فحسب، ما أكده مصدر عسكري "إسرائيلي" ادَّعى أن "نتانياهو" ووزير جيشه، "يؤاف غالانت"، صادَقا على العملية قبل عشرة أيام من تنفيذها.

وذكرت قناة "كان 11" العبرية أن "نتنياهو" يتابع العملية عن كثب، وأن العملية بدأتْ بعد جلسة مشاورات موسَّعة أدارها، فيما قال موقع "والا" العبري إن العملية قد أُجِّلت عدة مرات لاعتبارات عدة، وإن التوقيت المناسب اختير من الناحية العملياتية، بالإضافة إلى الحصول على التفويض الدولي.

من المهم الإشارة إلى أنه قبل شن العملية كان يوجَد تنسيق مسبق بين دولة الاحتلال والولايات المتحدة، إذ التقى "غالانت" بالسفير الأمريكي في "إسرائيل" لإطلاعه على العملية في جنين.

»أهداف العملية العسكرية

› أهداف الاحتلال:

يتمثل هدف الاحتلال الأساسي من العملية العسكرية العدوانية على مخيم جنين بخلق ردع لدى الجيل الجديد من الشباب الفلسطيني، الذي اتَّخَذ المقاومة المسلحة خَيارًا، واستحضارِ نماذج الدمار والقوة العسكرية الغاشمة، وقتلِ الروح الثورية المتصاعدة في الضَفة الغربية المحتلة.

أما الأهداف الفرعية للعملية العسكرية فتتمثل بالتالي:

عملياتيًّا وميدانيًّا:

- فتح المجال أمام الجيش لتنفيذ استراتيجية مستقبلية في شمالي الضفة، تتمثل باستخدام نمط العمليات العسكرية المحدودة.
- تدمير البنى التحتية للمقاومة في المخيم.
- الوصول إلى معامل تصنيع العبوات الناسفة.
- استكمال الحلقات الناقصة في المعلومات الاستخباراتية.
- جمع أكبر قدر ممكن من السلاح، واعتقال واغتيال أكبر عدد ممكن من المسلحين داخل المخيم.

سياسيًا:

- تسكين "نتنياهو" الضغط الحكومي الداخلي من شركائه في الائتلاف، خصوصًا وزارة "الصهيونية الدينية".
- تحسين "نتنياهو" والائتلاف الحكومي أسهمَهم المتراجعة في استطلاعات الرأي.
- لفت الأنظار عن عودة زخم الاحتجاجات الداخلية في دولة الاحتلال.
- تهيئة الظروف لإعادة سيطرة السلطة الفلسطينية على مخيم جنين.

»أهداف العملية العسكرية

› أهداف المقاومة:

بما أن المقاومة الطرف المُستهدَف في العملية العسكرية، فإن الصمود والنجاح هدفاها الرئيسان في إفشال تحقيق أهداف الاحتلال من العملية العسكرية.

- تحويل تحدي العملية العسكرية إلى فرصة لتثبيت جدية حالة المقاومة وقدرتها على التعامل مع سيناريوهات كبيرة بحجم العملية العسكرية.
- تثبيت معادلات اشتباك في مواجهة رفع الاحتلال لوتيرة عدوانه.
- الحفاظ على مقدرات المقاومة البشرية واللوجستية ما أمكن ذلك.

»المعطيات الميدانية

› أوضح الواقع العملياتي في الساعات الثماني والأربعين التي شكَّلت عمر العملية العسكرية العداونية على مخيم جنين عدة دلالات مهمة ستُشكِّل عمادًا لتقييم التطور في الحالة المقاومة في الضفة الغربية المحتلة عامة، وشماليها على نحو خاص، كان أبرزها التالي:

فشل الضربة الأولى في العملية العسكرية، التي تمثلت باستهدافٍ من الجو لعدة مواقع قدَّر الاحتلال أنها تمثِّل عصب قيادة مجموعات المقاومة، إذ لم تُسفر تلك الضربات عن خسائر بشرية ولوجستية صادمة للمقاومة في المخيم، الذي يُعَدُّ هدفَ الضربة الأولى، ما يَعكس تقدير واستعداد المقاومة المسبقَين للتعامل مع سيناريو الضربة الغادرة.

يَعكس عدد الشهداء والمعتقلين من المقاومين فشلَ الاحتلال في الوصول إلى الشريحة الأكبر المستهدَفة من المقاومين، خاصةً الصف القيادي والمطلوبين الأبرز، الذين مضى على ملاحقة بعضهم أكثر من عام ونصف دون تمكُّن أجهزة أمن الاحتلال من الوصول إليهم واعتقالهم أو اغتيالهم.

عَكَسَ استمرارُ الاشتباكات والمواجهات واستهداف آليات الاحتلال حتى اللحظة الأخيرة من انسحاب الآليات، وإعلانات مجموعات المقاومة الناشطة في المخيم عن هجماتها وكمائنها، أنَّ قدرات القيادة والتحكم لدى مجموعات المقاومة لم تضرَّر بضربات واستهدافات جيش الاحتلال.

تَعكس إعادة الانتشار التكتيكي الذي نفَّذته مجموعات المقاومة، داخل أحياء المخيم أو خارجها، وجودَ تكتيك مسبق للتعامل مع سيناريو العملية العسكرية، قائم على مبدأ الحفاظ على الحالة لا الحفاظ على الأرض، مع تأمين للسواد الأعظم لمقدرات المقاومة وذخيرتها بعيدًا عن أماكن التخزين المعتادة.

العجز الاستخباراتي الحقيقي أمام تكتيكات التأمين والتمويه التي اتبعتها مجموعات المقاومة في المخيم، إذ لم تنجح الضربات الجوية والاقتحامات المباشرة في الوصول إلى أهداف "ذات قيمة"، وتبديد أسطورة التفوق الأمني والتكنولوجي "الإسرائيلي" أمام ما كان يُعرف بضعف "الوعي الأمني" لدى المقاومين.

يَعكس اكتشاف الاحتلال نفقًا تحت أحد المساجد أن المقاومة في مخيم جنين، وفي شمالي الضفة عمومًا، تسابِق الزمن في استحداث أدوات وآليات جديدة للمواجهة مع الاحتلال والتأمين والمناورة، إذ تُعد الأنفاق والسراديب مرحلة متقدمة مهمة في هذا الإطار.

يَعكس تجهيز مجموعاتٍ خارج المخيم ومهاجمة خطوط الإمداد والانسحاب لجيش الاحتلال دراسةَ المقاومين واستعدادَهم المسبقَ لسيناريو العملية العسكرية، وتحديدَهم الخطوط المتوقعة لإمدادات الاحتلال، وإعدادَهم كمائن مسبقة لاستهدافها، كان أكبرها الهجوم على التجمعات المنسحبة من المخيم في نهاية العملية، الذي أدى إلى مقتل جندي صهيوني.

يُسقط عدم ارتباك المقاومة، في التعامل مع العملية العسكرية وشدة الضربات الجوية، النوعيةَ والتأثيرَ الذي كان يتوقعه الاحتلال من الضربات من الجو واستخدام قوة نارية كبيرة مقارنةً بالسنوات السابقة.

»نتائج العملية العسكرية:

› ميدانيًّا:
لم ينجح الاحتلال في شن حملة اعتقالات مؤثِّرة في صفوف كوادر المقاومة، خاصةً القياديِّين والمطلوبِين الأهم منهم.

فشل الاحتلال في خلق حالة من الردع بالقوة النارية الغاشمة والغارات الجوية.
لا يكاد معدل ما صُودِرَ من قطع السلاح يُذكَر أمام تقديرات أجهزة الأمن الصهيونية لعدد الأسلحة المتوفرة لدى المقاومة في مخيم جنين.
فشل الاحتلال في اغتيال أي من القادة الأبرز في الأجنحة العسكرية العاملة في المخيم.

أثبَتَ لجوء الاحتلال إلى تنفيذ العملية العسكرية إجماع الأوساط العسكرية والأمنية والسياسية لدى الاحتلال بفشل عمليات "كاسر الأمواج" في إجهاض حالة المقاومة في شمالي الضفة.

انكشاف ضعف قدرات جيش الاحتلال البرية، خصوصًا في التعامل مع سيناريوهات حرب العصابات وحرب المدن، على الرغم من الاستثمار الكبير في تحديث وتطوير قدرات الجيش في التعامل مع مثل هذا السيناريو.
فشل لواء النخبة في تحقيق نتائج فعلية في العملية العسكرية الأُولى التي يشنها منذ تأسيسه، على الرغم من أن الهدف من تأسيسه يتمثل بالتعامل مع عمليات من هذا النوع.

› أما على الصعيد السياسي، فقد نجح "نتنياهو" في حصد غالبية أهدافه السياسية الداخلية من العملية العسكرية، إذ نجح في تسكين ائتلافه الحكومي، ومحاولة حجب الأنظار (قدر الإمكان) عن الاحتجاجات الداخلية في دولة الاحتلال، وتحسين أسهمه في استطلاعات الرأي الداخلية، إذ عكست الاستطلاعات الأخيرة تحسُّنًا ملحوظًا على تأييد الجمهور له ولائتلافه.

»نتائج العملية العسكرية:

› على صعيد المقاومة:

بدَّدَ فشلُ العملية العسكرية حالةَ الردع التي حاول الاحتلال تحقيقَها منها، والتي جرى التسويق لها لأشهر كـ"فزاعة" لمجموعات المقاومة والحاضنة الشعبية.

نجَحَت المقاومة في تحويل التحدي إلى فرصة لإثبات قدرتها على التعامل مع السيناريوهات الكبيرة والتحديات بحجم العملية العسكرية.

أفشَلَت المقاومةُ غالبيةَ أهداف العملية ونجَحَت تكتيكاتُها في الحفاظ على الحالة المقاومة وتأمين السواد الأعظم من مقدراتها البشرية واللوجستية.

أدى تشخيصُ مَواطن القوة والضعف، واستخلاصُ العبر والدروس من تجارب انتفاضة الأقصى واقتحامات جيش الاحتلال الأخيرة، إلى استخدام تكتيكات ناجحة في مواجهة السيناريوهات المتوقعة لسلوك الاحتلال.

شكَّلَ نجاحُ المقاومةِ في إفشال العملية العسكرية دفعةً معنويةً مهمةً للمقاومة في شمالي الضفة عمومًا، وللحاضنة الشعبية التي باتت تثق أكثر بمتانة وقدرة مجموعات المقاومة.

فشِلَ الاحتلالُ في ضرب الحاضنة الشعبية للمقاومة، وقد عزَّز فشلُه في تحقيق أهدافه الالتفافَ الجماهيريَّ حول خيار المقاومة، فيما أضعَفَ بقوة حضورَ السلطة وتيارها في الشارع الفلسطيني.

أثبَتَت مجموعاتُ المقاومةِ جديَّتَها وفاعليَّتَها وتطوُّرَها المستمر، وبدَّدَت المقولاتِ حول كونها "حالاتٍ استعراضيةً" و"ضعيفةَ الخبرة".

خلاصة

نجحت المقاومة في إفشال عملية الاحتلال العسكرية العدوانية على مخيم جنين، وحوَّلَت التحدي إلى انتصار متعدِّد المستويات نَجَحَ في تثبيت معادلة وجود المقاومة في شمالي الضفة الغربية المحتلة وصلابة بناها التحتية وتماسُك منظومات القيادة والسيطرة لدى مجموعاتها، سواءُ الموجودة داخل المخيم أو خارجها، والمتمثلة بالدعم المعلوماتي والاستخباري والتوجيه العملياتي من قيادة المقاومة خارج الضفة، ما أظهَرَه شكلُ تكتيكِ الانتشار والاشتباك والتأمين، الذي يَعكس استعدادًا مسبقًا للتعامل مع سيناريوهات الهجوم المتوقَّعة وفق تقييم نوعي وموضوعي لنوايا جيش الاحتلال وطبيعة الهجوم المتوقَّع، ما مكَّن المقاومة من تبديدِ موجة العملية العسكرية التي يلوِّح بها قادة الاحتلال منذ أكثر من عام، وتفويتِ الفرصة على الاحتلال في تحقيق "الردع" الذي سعى إلى استعادته على أنقاض مخيم جنين.

يُشكِّل صمودُ المقاومةِ في مخيم جنين تدشينًا لمرحلة جديدة من العمل المقاوم النوعي والتكتيكات المتقدم في التعامل مع عمليات الاحتلال، التي تمهِّد العمليةُ العسكريةُ الأخيرةُ على جنين لطبيعتها الجديدة في استهداف أماكن تمركز المقاومة، ما يتطلب استعدادًا للتعامل مع عمليات عسكرية مشابهة متكررة في خلال الفترة القادمة قد تَستَهدِف مخيم جنين مرة أخرى، وقد تَستَهدِف أماكن تمركز أخرى للمقاومة، مثل مخيم نور شمس في طولكرم أو مخيم بلاطة في نابلس.

نجحت المقاومة في تثبيت معادلة العمليات الفدائية في مواجهة تصاعد العدوان الصهيوني، وتمثَّل ذلك في العلميات الفدائية التي نفَّذتها الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية خارج جنين، عبر عمليات منظَّمة نفَّذتها كتائب الشهيد أبو علي مصطفى بمهاجمة سيارة شرطة في جبل جرزيم بنابلس، أو عمليات كتائب الشهيد عز الدين القسام التي كان أبرزها العملية الاستشهادية قرب مستوطنة "كدوميم" المحاذية لمدينتَي نابلس وقلقيلية، وعملية الدعس في "تل أبيب".

رفعت المقاومة من وتيرة التحدي مع الاحتلال عبر إعلانها بوضوح عن العمل المنظَّم للأجنحة العسكرية "سرايا القدس" وكتائب القسام وكتائب أبو علي مصطفى وكتائب شهداء الأقصى وألوية الناصر صلاح الدين، ما يَعكس أن المقاومة قد قطعت الشوط الأكبر في تصليب بُنى تحتية لهياكلها في مواجهة تصعيد الاحتلال من حملاته الإجرامية وادعاءاته بتحقيق انتصارات وهمية ونجاحات في إجهاض تشكيل هذه البِنى.

كشَفَ فشلُ العمليةِ العسكريةِ مدى حاجة الاحتلال إلى إيفاء السلطة الفلسطينية بالتزاماتها الأمنية وانخراط أجهزتها الأمنية الحقيقي في ملاحقة المقاومة، ما عكسته الأوساط السياسية لدى الاحتلال عبر تبنيها مشروع دعم السلطة، وتحفيزها لدفع أجهزتها لإعادة سيطرتها على مخيم جنين ومواجهة خلايا المقاومة التي فشل الاحتلال في "تحييدها".

برنامج الانتاج المعرفي
مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيجي
2023-7-10

www.orouba.ps